مشاكل التعريب

كافكا - عربياً :
بين مطرقة التسييس وسندان اللغة الوسيطة

عبده عبود

لم يعش أكثر من واحد وثلاثين عاماً، قضى الأعوام الأخيرة منها مريضاً بالسلّ الرئوي. كتب ثلاث روايات لم يكمل أياً منها، وفارق هذه الحياة دون أن يحظى بشهرة أو اعتراف بموهبته الأدبية حتى من قبل أبيه. أمّا تركته الأدبية ورسائله فقد أوصى بإحراقها. إنّه فرانز كافكا (١٨٨٣ - ١٩٢٤)، الأديب التشيكي الجنسية، الألماني اللغة، اليهودي الأصل، الذي يعدّ اليوم واحداً من أبرز أعلام الحداثة والطليعية في القرن العشرين. ولقد أصبح اليوم من الصعوبة بمكان أن يحيط المرء بكلّ ما كُتب حول كافكا وأدبه دون أن يستعين بالمؤلفات البيبليوغرافية، التي تتقادم بسرعة نظراً لهذا السيل العارم من «الأدبيات الثانوية» التي تصدر كلّ عام متخذة من أدب كافكا وسيرته واستقباله موضوعاً لها.(١) وقد امتدّ الاهتمام بأدب كافكا الى العالم العربي، فتُرجمت رواياتُه الثلاث: **القضية** و **القصر** و **أمريكا** الى العربية في أواخر الستينيات ومطلع السبعينيات،(٢) وعُرّب القسم الأعظم من قصصه، وتأثّر عددٌ من القاصّين العرب المعاصرين بطريقته الفنية(٣).

المنحى الخاصّ

ولكن من الملاحظ أنّ استقبال أدب كافكا في العالم العربي قد أخذ منحى خاصّاً تمثّل في أمرين، أولهما أن تعريب ذلك الأدب قلّ أن تمّ عن الألمانية مباشرة، بل كان يتمّ في أغلب الحالات عن لغة وسيطة كالانكليزية أو الفرنسية ... وهذه مسألة لها مترتبات سلبية: فالترجمة الأدبية تنطوي بطبيعة الحال على درجة تكبر أو تصغر من «الخيانة» بمعنى الانحراف عن النصّ الأصلي من حيث الدلالة والأسلوب؛ وعندما يُترجَم نصّ أدبي عن لغة وسيطة فإنّ ذلك يؤدي بالضرورة إلى مضاعفة «الخيانة» الترجمية(٤). أمّا الوجه الآخر لخصوصية استقبال أدب كافكا القصصي عربيّاً فهو يتمثّل في نشوب ذلك الجدال الطويل حول انتماء كافكا الى الصهيونية وفكرها، وهو جدال بدأ في مطلع السبعينيات ولم يتوقّف إلاّ في أوائل التسعينيات، بعد أن شارك فيه عددٌ كبير من النقاد العرب بَيْنَ مؤكّدٍ لتهمة الصهيونية وبين نافٍ لها(٥). وقد ساعد على احتدام ذلك النقاش حقيقة أنّ كافكا ينحدر من عائلة يهودية، وأنّ أعماله الأدبية تتسم بطابع استعاريّ (allegorisch) متطرف يجعلها مفتوحة على شتّى التأويلات.

«المسخ» أم «التحول»؟

بدأ الاهتمام العربي بأدب كافكا القصصي في أواسط الخمسينيات، وذلك عندما قام المترجم اللبناني الشهير منير البعلبكي بتعريب قصّة "Die Verwandlung" ، لا عن الألمانية، بل عن لغة وسيطة هي الإنكليزية. ولا غرابة في ذلك؛ فقد كان المترجمون العرب الذين يجيدون الألمانية ويترجمون عنها نادرين في ذلك الوقت، وربما لم يزد عددهم على عدد أصابع اليد الواحدة(٦). ولقد كان ما يَرِدُ إلى العالم العربي من أعمال

(١) إن أشمل بيبليوغرافيا حول كافكا هي: H. Binder (hg): **Kafka-Handbuch.** Stuttgart, 1979.
(٢) حول استقبال روايات كافكا عربيّاً راجع كتابنا: **الرواية الألمانية الحديثة**، دمشق، ١٩٩٣ .
(٣) نفسه، ص ١٥٧ وما يليها.
(٤) راجع مقالنا: «التشويه المضاعف»، في : **فكر وفن**، عدد ٥١ ، ص ٥٣ - ٥٧ .
(٥) راجع إحمالنا لذلك النقاش في كتابنا: **الرواية الألمانية الحديثة**، ص ١٧٦ - ١٩٩ .
(٦) أبرز أولئك المترجمين: عبد الرحمن بدوي، محمد عوض حمد، محمود ابراهيم الدسوقي.

أدبية ألمانية في تلك المرحلة من تاريخ العلاقات الأدبية العربية – الألمانية يمرّ بالضرورة عبر البوّابتين الفرنسية والإنكليزية، وهذا لم يتغيّر بشكل ملحوظ إلاّ منذ أواخر الستينيات عقب تخرّج عدد مرموق من دارسي اللغة الألمانية وآدابها وقيام بعضهم بممارسة الترجمة الأدبية. فتعريب قصّة كافكا "Die Verwandlung" عن لغة وسيطة لم يكن أمراً خارقاً للمألوف بل حالة منسجمة مع القاعدة. ومع أنّ مقولة «التشويه المضاعف» تنطبق على هذه الترجمة من حيث المبدأ، فإنّ الدارس يُفاجَأ بدرجة الدقّة والرصانة التي تنطوي عليها. فقد كان المترجم أميناً للنصّ، لم يَحْذِفْ منه ولم يُضِفْ إليه شيئاً يستحقّ الذكر. كما كان على صعيد المعنى أميناً، أدّى دلالة النَصّ بدقّة كبيرة نسبياً. ومن الناحية الأسلوبية واللغوية صاغ منير البعلبكي تلك الترجمة بلغةٍ عربيةٍ سليمةٍ ومتألقة، هي لغة ذلك المترجم الكبير المتمكّن من اللغتين الأجنبية والعربية. وعلى الصعيد الاستقبالي لاقت قصة «المسخ» إقبالاً جيّداً من القرّاء العرب، فتعددت الطبعاتُ، وارتبطتْ سمعةُ كافكا العربية وصورته بقصة ذلك الموظف الصغير الذي تحوّل بين عشيّة وضحاها إلى صرصار.(٧)

إلاّ أنّ تلك القصّة ماانفكّتْ تستهوي المترجمين العرب وتحفّزهم على إنجاز ترجمات جديدة لها، وذلك على الرغم من أنّ ترجمتها العربية الأولى قد أُنجزَت من قِبل أحد المترجمين اللامعين. ففي عام ١٩٩٠ صدرت ترجمة عربية ثانية لقصّة "Die Verwandlung" بعنوان جديد هو «التحوّل»(٨). ومن الطبيعيّ أن يتوقع المرء أن تُنجَز هذه الترجمة التي قام بها نبيل فياض عن اللغة الألمانية، لا عن لغة وسيطة. ولكنّ ذلك التوقّع سرعان ما يخيب بعد أن يتبين المرءُ أن هذا المترجم قد عرّب القصّة للمرّة الثانية عن الإنكليزية؛ وهذا أمر مُستغربُ الحدوث في مرحلة كَثُرَ فيها المترجمون عن الألمانية، ولم يعد فيها أيُّ مسوّغٍ موضوعي لترجمة نصوص أدبية ألمانية عن لغة وسيطة. ولئن كانت الترجمتان العربيتان لقصة

هناك أكثر من تعريب واحد لبعض قصص كافكا، دون أيّ مسوّغ!

«المسخ» أو «التحول» قد أُنجزتا عن اللغة الوسيطة نفسها، فهل هناك فارق في الجودة بين الترجمتين؟ إنّ الإجابة عن هذا السؤال تقتضي إجراء تحليل نقدي مقارن للترجمتين ومواجهتهما بالنصّ الأصليّ، وهذا ما يخرج عن الإطار المرسوم لهذه المقالة(٩). ويمكننا القول بصورة إجمالية إنّ الترجمة الجديدة لقصّة "Die Verwandlung" ليست أكثر جودةً من الترجمة الأولى، بل هي على العكس من ذلك ترجمةٌ تفتقر إلى السلاسة والتألّق الأسلوبيين اللذين تمتاز بهما الترجمة القديمة. إلاّ أن ما يشفع للترجمة الجديدة هي تلك الملاحق السيرية التفسيرية التي زُوِّدَتْ بها، وهي ملاحقُ تقدّم للقارئ العربي معلوماتٍ وفيرةً عن حياة كافكا وأدبه، وتشرح قصّة «التحول» وتفسّرها، وهذا أمر يستحقّ التنويه. فهذه الملاحق تساعد المتلقين العرب على فهم القصّة ووضعها في السياق التاريخي الأدبي والثقافي الصحيح.(١٠)

«الحُكْم» في ترجمتين

تمثّلت المحطّة الهامّة الثانية من استقبال أدب كافكا القصصي عربياً في ترجمة قصّة «الحكم» (Das urteil)، تلك القصة التي صاغ فيها الكاتب تناقضاً وجودياً جوهرياً طالما عانى منه شخصيّاً وعبّر عنه مباشرة في رسالته الشهيرة إلى الأب(١١). إنه تناقض بين أب ذي شخصيّة طاغية وابنٍ مطيع يسعى إلى مرضاة أبيه التي لا سبيل إليها إلاّ بالخضوع المطلق من جانب الابن الذي لا يجد مخرجاً من ذلك التناقض إلاّ في أن يطيع أباه بطريقة مأساويّة، فيلقي بنفسه في النهر ويموت غرقاً. فما أسوأه من انتصار يحققه المجتمع الأبويّ على جيل الأبناء التوّاق إلى التحرر والانطلاق!

نُقلت قصّة «الحكم» للمرّة الأولى الى العربية عام ١٩٧٠ ضمن كتاب **صفحات خالدة من الأدب الألماني** الذي حرره الكاتب الألماني فولفجانج لانجنبوخر (W. Langenbucher) وتولّى الدكتور مصطفى ماهر، أستاذ الأدب الألماني بجامعة عين شمس المصرية، ترجمته إلى العربية(١٢). ولقد نقل المترجم هذه القصّة بطريقة أمينة ودقيقة، ولكنّ اعتبارات مكانية حملته على أن يختصرها ويحذف أجزاء منهَا.غير أن العمل الأدبي يمثّل، كما هو معروف، وحدةً فنية جمالية تشبه تلك الوحدةَ التي تتحلى بها المقطوعةُ الموسيقيةُ واللوحةُ الفنية والتمثالُ، وكلّ حذف أو إضافةٍ يُجْرَيَان على ذلك العمل يُخِلاّن بوحدته الجماليةِ ويشوّهانه. وتسري هذه المقولة على قصّة «الحُكْم»، تلك القصّة المحكمة السبك، التي لا يمكن إلاّ أن يؤدّي أيُّ تعديل يُدْخَل عليها إلى تشويهها. ويبدو أنّ هذا الاعتبار قد كان وراء قيام مترجم آخر هو ابراهيم وطفي بتعريب قصّة «الحُكْم» للمرّة الثانية وبكامل نصّها(١٣) وقد أرفق المترجم بالقصّة ملاحقَ سيريّةً وتفسيريةً ونقديةً مستفيضة، تشكّل مرجعاً غنيّاً حول أدب كافكا وحياته وحول القصة نفسها. ومن الجدير بالذكر أنّ ابراهيم وطفي ترجم قصّة «الحُكْم» ضمن إطار مشروع طموح، هو ترجمة أعمال كافكا

(٧) راجع فرانز كافكا: **المسخ**. ترجمة منير البعلبكي، بيروت، دار العالم للملايين ط٣، ١٩٧٩ .
(٨) كافكا: **التحول**. ترجمة وتقديم نبيل فياض، اللاذقية. ١٩٩٠ .
(٩) لقد أنجزنا ذلك التحليل النقدي في كتابنا **القصة الألمانية الحديثة**، الذي لم يصدر بعد.
(١٠) حول دور التوسيط النقدي في تسهيل استقبال الأعمال الأدبية الأجنبية راجع كتابنا: **الأدب المقارن، مدخل نظري ودراسات تطبيقية**. حمص، ١٩٩١، ص ١٨٥ وما بعدها.
(١١) المقصود بذلك: Brief an den vater.
(١٢) مصطفى ماهر (ترجمة): **صفحات خالدة من الأدب الألماني**. بيروت. ١٩٧٠، ص ٤٦٠ – ٤٧١ .
(١٣) فرانز كافكا: **الحكم**. ترجمة وتقديم ابراهيم وطفي. دمشق، ١٩٩٤ .

الكاملة إلى العربية، وهو مشروع يتطلّب تحقيقه إمكانات تفوق إمكانات شخص بمفرده مهما عظُمت. ولكنه مشروع ثقافي هامّ لا يسعنا إلاّ أن نرحّب به، وأن ندعو المؤسسات الثقافية العربية والألمانية المعنية للمشاركة في إنجازه. وعلى أية حال فإنّ الترجمة العربية لقصّة «الحكم» هي المرحلة الأولى من ذلك المشروع، وهي تشكّل نقلة نوعية على صعيد استقبال أدب كافكا في العالم العربي، سواء لناحية أمانة الترجمة ودقتها، أم لناحية الملاحق النقدية المرفقة بها. لقد أرسى ابراهيم وطفي بهذه الترجمة معياراً جديداً لاستقبال أدب كافكا القصصي في العالم العربي، هو معيارٌ أبرزُ مقوماتِه أن تُترجَم قصص كافكا إلى العربية عن لغتها الأصلية لا عن لغة وسيطة، ترجمةً كاملةً وأمينة، لا زيادة فيها ولا نقصان، وأن تُرفَق بالنصّ المترجَم نصوصٌ نقديةٌ تشرحه وتفسره وتساعد القارئ العربي في فهمه.

«بنات آوى وعرب»

ومن قصص كافكا التي حظيت باهتمام كبير في العالم العربي وكانت مثار تأويلات مختلفة ومتضاربة، قصّة «بنات آوى وعرب» (Schakale und Araber). فقد تُرجمت مرّتين عن الفرنسية ومرّة عن الألمانية، وتموضعتْ في صميم الجدال الطويل الذي شهده النقد الأدبي العربي حول علاقة كافكا بالصهيونية. صدرت الترجمة العربية الأولى لقصّة «بنات آوى وعرب» عام ١٩٧٣، وقام بتلك الترجمة ناقدان فلسطينيان معروفان هما محمود موعد وفيصل دراج[١٤] اللذان عرّبا هذه القصّة عن الفرنسية، وأرفقا بها دراسةً نقدية حاولا فيها توظيفَ القصة المترجَمة للبرهنة على أنّ كافكا أديب صهيونيّ الفكر. وقد يبدو هذا المسعى مستغرباً للوهلة الأولى، خصوصاً وأنّ في الكتابات السير – ذاتية لهذا

هناك مَنْ عرَّبَ قصص كافكا لمجرّد إثبات صهيونيّته!

الأديب ما لا يدع مجالاً للشك في أنه كان بعيداً عن تبنّي أية ايديولوجيا سياسية، بما في ذلك الايديولوجيا الصهيونية. إلاّ أنه لا يجوز أن يغيب عن الذهن أنّ فيصل دراج ومحمود موعد قد بذلا مسعاهما السالف الذكر في وقت بلغ فيه الصراعُ العربيُّ – الاسرائيلي ذروتَه وامتدّ إلى الساحة الثقافية. والمهمّ في الأمر هو أنّ الترجمة العربية لقصّة «بنات آوى وعرب» التي قام بها هذان الرجلان لم تكن ترجمة سليمةً، بل ترجمةً تعجّ بالأخطاء الدلالية والأسلوبيةوالنصيّة. ونرجّح أن المترجمين كانا غير مهتمّين أصلاً بإنجاز ترجمة دقيقة ورصينة، بقدر ما كانا مهتمّين بتقديم ترجمة تقريبيّة تخدم هدفهما الأصلي، أي البرهنة على صهيونية كافكا.

ولعلّ ذلك هو ما حمل المترجم السوري صلاح حاتم، وهو متخصص في الأدب الألماني، على إنجاز ترجمة ثانية للقصّة نفسها في عام ١٩٨١، ولكنْ عن الألمانية في هذه المرّة[١٥]. وعلى الرغم من أنّ هذه الترجمة تنتمي إلى السياق نفسه الذي تنتمي إليه الترجمة الأولى – أي الجدال العربي حول صهيونية كافكا – فإنها ترجمة بالغةُ الدقّة نصّاً ودلالة، عالية الجودة لغة وأسلوباً. وبعد أن صدرت هذه الترجمة الرصينة لم تعد هناك أية حاجة إلى ترجمة قصّة «بنات آوى وعرب» مرّة أخرى. ولكنّ مجلة **الكرمل** الفلسطينية فاجأتْ قرّاءها في عام ١٩٨٨ بنشر ترجمة ثالثة للقصّة نفسها، وقد أنجزها عن الفرنسية (!) الياس حنا الياس[١٦]. ويبدو أنّ هذا المترجم لم يكن على علم بوجود الترجمتين الأخريين، لأنهما نُشرتا في مجلتين سوريتين لا توزّعان خارج سوريا. إلا أنّ ما يسترعي الاهتمام في هذه الحالة هو قيام ثلاثة من المترجمين العرب بنقل هذه القصّة إلى العربية وكأنّها مغناطيس يجذب إليه المترجمين. لماذا يا ترى؟ ألأن كلمة «عرب» تدخل في عنوانها، ولأنّ إحدى شخصياتها عربي، ولأنّ أحداثها تدور في بيئة عربية هي الصحراء؟ من المؤكّد أنّ هذه الاعتبارات كان لها دورٌ كبير في اجتذاب اهتمام المترجمين العرب إلى هذه القصّة، التي رفض كافكا أن تُعدّ أمثولةً (Allegorie)، وأصرّ على أنّها مجرّد حكاية حيوان (Tierfabel). ولكن من المؤكد أيضاً أنّ لِفنّ كافكا القصصي من الجاذبية الجمالية ما يغري المتلقين والمترجمين على حدّ سواء، لا في العالم العربي وحده، بل في العالم بأكمله.

«تحريات كلب»

ولكافكا قصّة أُخرى استُقْبلتْ في العالم العربي بصورة لا تختلف جذريّاً عن الصورة التي استُقبلت بها قصّة «بنات آوى وعرب». إنها قصّة «تحريات كلب» (Forschungen eines Hundes) – التي صدرتْ ترجمتُها العربية الأولى عام ١٩٨١، وتولت إنجازها عن لغة وسيطة هي الإنكليزية الباحثةُ العراقيةُ بديعة أمين[١٧]. ولئن كان الناقدان الفلسطينيان محمود موعد وفيصل دراج قد توخّيا من تعريب قصة «بنات آوى وعرب» إثبات صهيونية كافكا، فإنّ زميلتهما العراقية قد توخّت من ترجمة قصّة «تحرّيات كلب» عكس ذلك تماماً: أي إظهار كافكا في مظهر البريء من تلك التهمة، لا بل تقديمه للرأي العامّ العربي كأديب معادٍ للصهيونية واليهودية على حدّ سواء. والمهمّ في الأمر هو أنّ القاسم المشترك بين هؤلاء المترجمين الثلاثة هو وجودُ دافعٍ سياسي في الحالتين وغياب الدافع الأدبي. وفي عام ١٩٨٢ صدرتْ ترجمة عربية ثانية لقصة «تحريات كلب»، وقد قام بها الأديب السوري المعروف سامي الجندي عن لغة وسيطة أخرى هي الفرنسية[١٨]. فقد عرّب هذا المترجم مجموعةً من قصص كافكا بعنوان **سور الصين**، وكانت «تحريات كلب» إحدى تلك القصص. وليس هناك ما يشير إلى أن الدكتور الجندي قد أنجز تلك

(١٤) مجلة **الموقف الأدبي**، عدد ٦، ١٩٧٤، ص ١٢٤ – ١٢٧ .
(١٥) **مجلة المعرفة**، عدد ٢٤١ ، ١٩٨٢ .
(١٦) مجلة **الكرمل**، عدد ٢٦، ١٩٨٨ .
(١٧) بديعة أمين: **هل ينبغي إحراق كافكا؟** بيروت، ١٩٨١، ص ١٧٧ – ٢٠٩ .
(١٨) فرانز كافكا: **سور الصين**. ترجمة: سامي الجندي، بيروت، ١٩٨٢ .

الترجمة بدافع سياسي، بل نرجّح أن يكون قد أنجزها بدافع أدبي هو وضع قصص كافكا في متناول القراء العرب، بعيداً عن النقاش المحتدم حول صهيونية هذا الأديب. ثمّ صدرت في عام ١٩٨٦ ترجمة عربيّة ثالثة لقصة «تحرّيات كلب»، وفي هذه المرّة أيضاً تمّت الترجمةُ عن لغة وسيطة هي الإنكليزية(١٩). وكأغلب الترجمات الأدبية التي تُنجَز عن لغة وسيطة فإنّ هذه الترجمات الثلاث تخضع لمقولة «التشويه المضاعَف»، وتنطوي على أخطاء ترجمية، نصيّة ودلالية وأسلوبية، بعضها طفيف، والبعض الآخر فادح. ولا نستبعد أن تكون الترجمات الوسيطة، الفرنسية والانكليزية، التي انطلقتْ منها الترجماتُ العربية الثلاث لقصة «تحريات كلب» مصدراً لقسم من تلك الأخطاء الترجمية. إلاّ أنّ المبدأ الذي ينبغي لنا أن نتمسّك به ونحن نقيّم ترجمات كهذه، هو مدى تعادلها مع النصّ الأصلي الألماني، لا مع النصوص الوسيطة. وتتعلق تلك الأخطاء بنقل مفردات وتعابير، وقد تتعلق بنقل وحدات معجميّة ونصّية أكبر، وبعمليات حذف واختصار. وبغرض التوضيح نودّ أن نورد بعض الأمثلة على تلك الأخطاء، وهي أمثلة أخذناها من مطلع القصّة، حيث يقول الكلب في معرض الحديث عن نفسه:

".. trotz meiner Sonderbarkeiten, die offen zutage treten .." (٢٠)

أي: «على الرغم من أطواري الغريبة البادية للعيان». ولقد ترجم سامي الجندي هذه العبارة بقوله: «بالرغم من شواذي» وحذف ما تبقّى من الكلام، وهو الجملة الموصولة «die offen zutage treten»، وترجمتُها: «التي تبدو واضحة للعيان». وأمّا بديعة أمين فقد ترجمت العبارة نفسها قائلة: «برغم كلّ غرابة أطواري التي مازالت قائمة حتى هذا اليوم»(٢١)؛ وهي ترجمة تنطوي على إساءة فهم لتعبير "offen zutage treten"، الذي يعني أنّ غرابة أطوار هذا الكلب ليستْ خافيةً على أحد، ولا يعني أنها «قائمة حتى هذا اليوم».

ويقول الكلب نفسه عن الأنواع الأخرى من المخلوقات: "wie wenig sie nämlich .. zusammenhalten".. أي: «ما أقلّ ما يتكاتفون أو يتضامنون». وقد ترجم الدكتور الجندي هذه العبارة بقوله: «فهي ينقصها .. التعاون»، وهذه ترجمة صحيحة، دلالياً على الأقلّ. وأمّا بديعة أمين فقد ترجمت العبارة نفسها قائلة: «ما أقلّ ميلها .. إلى الالتصاق ببعضها»؛ وهذه ترجمة حرفية خاطئة. ففعل zusammen-halten يعني «يتكاتف» أو «يتضامن» ولا يعني «يلتصق».

ويقول كافكا في مثال آخر: "Man darf wohl sagen, daß wir alle förmlich in einem einzigen Haufen leben." وقد ترجم سامي الجندي هذا الموضع بقوله: «نستطيع أن نقول حقاً إننا نعيش جميعاً في كومة واحدة»؛ وهذه ترجمة سليمة إلى حدّ كبير. وأمّا بديعة أمين فقد ترجمت الموضع نفسه كالآتي: «إنّ المرء يستطيع أن يقول بثقة إننا جميعاً نعيش سوية في كومة واقعية»؛ وهذه الترجمة تنطوي على خطإٍ ذي قدر كبير من الطرفة سبَبُه تعبير «الكومة الواقعية»، والمرء يتساءل حقاً: من أين جاءت المترجمة بنعت «واقعية»؟ وهذا مثال أخير: يقول الكلب نفسه في سياق الحديث عن بني جنسه: ".. die Sehnsucht nach dem gröβtten Glück, dessen wir fähig sind, dem warmen Beisammensein." . وقد ترجم الدكتور الجندي هذا الموضع بقوله: «تنبع من الطموح إلى أكبر سعادة نستطيع تصوّرها، وهي: أن ندفأ، وبعضنا حدّ البعض الآخر».

لكنّ المترجم ارتكب خطأً كبيراً عندما ترجم تعبير "das warme Beisammensein" بصورة حرفية: «أن ندفأ وبعضنا حدّ البعض الآخر» بالمعنى الفيزيائي للدفء، علماً بأنّ الكاتب لا يتحدّث عن «دفء» بل عن «لقاء دافئ» بالمعنى المجازي أو العاطفي للدفء. أضف إلى ذلك أنّ عبارة: «أن ندفأ، وبعضنا حدّ البعض الآخر» هي عبارة ركيكة مفككة أسلوبياً. وأمّا بديعة أمين فقد ترجمت الموضع نفسه كالآتي: «تعود لذلك التوق لأعظم سعادة نحن مؤهلون لها، الراحة الدافئة لأن نكون معاً». وفي هذه الترجمة انقلب «اللقاء الدافئ» إلى «راحة دافئة»(!)؛ وهذا انحراف عن معنى النصّ. وكما نرى فإنّ المترجمَيْن كليهما لم ينجحا في نقل تعبير بسيط هو "das warme Beisammensein" إلى العربية بصورة سليمة.

القسم الأعظم من قصص كافكا لم يُعَرَّب عن الألمانية، بل عن لغاتٍ وسيطة، فحصلتْ بذلك عمليةُ تشويهٍ مضاعَف!

لقد ابتغينا من هذه الأمثلة أن نقدّم للقارئ صورةً ملموسة عن الأخطاء الترجمية التي تنطوي عليها ترجمتان مختلفتان لقصّة «تحريات كلب»، علماً بأنّ هاتين الترجمتين قد تمّتا عن لغتين وسيطتين مختلفتين أيضاً هما الانكليزية في حالة بديعة أمين والفرنسية في حالة سامي الجندي. ولكن مهما تكن طبيعة تلك الأخطاء فإنه لا ينبغي لها أن تحجب حقيقة هامة، ألا وهي أنّ تعريب «قصّة تحرّيات كلب» ثلاث مرّات ينطوي على اقتناع ضمنّي بأهمية هذه القصّة، وبضرورة أن توضَع في متناول القرّاء العرب.

«في مستعمرة العقاب»

ولكافكا قصّة ثالثة لم تنجُ من عملية التسييس التي سبقت الإشارةُ إليها، هي قصّة «في مستعمرة العقاب» (In der Strafkolonie). فقد تُرجمت إلى العربية للمرّة الأولى في عام ١٩٧٩ ، وذلك ضمن العدد الخاصّ بالأدب الصهيوني الذي أصدرته مجلة **الأقلام** العراقية(٢٢)، واعتُبرت تعبيراً رمزياً عن أعمال القتل الطقوسيّ المعروف بـ «فطير

(١٩) نفسه: **تحرّيات كلب**، ترجمة كامل يوسف حسين، بيروت ، ١٩٨٦ .

(٢٠) Franz Kafka: **Sämtliche Erzählungen.** Frankfurt/M., 1969,S.324 وكذلك: سور الصين، ص. ١٤٦ وما بعدها.

(٢١) بديعة أمين: **هل ينبغي إحراق كافكا؟**، ص ١٧٨ .

(٢٢) فرانز كافكا: «مستوطنة العقاب»، ترجمة سعيد الحكيم، مجلة **الأقلام**، ع ٩، ١٩٧٩ ص ١٨٠ – ١٩٦ .

(٢٣) فرانز كافكا: **في مستوطنة العقوبات**. ترجمة زكي الأسطة، اللاذقية، ١٩٩١ .

الملكـــوت

حسن الأمراني

يميني
وما ملكته يميني
فديً لك
يا من تنصبني
فوق عرش المكابدة الفرد
تفتح عصر المساكين والفقراء
تزلزل بالأحرف الخضر ذاتي
وتغمر بالبشر مملكتي والضياء
وبالكبرياء
فديً لك
يا من تتوّج من صولة الريف رأسي
وتمنحني سرّها الأرقمي
وتطفح بالنور كأسي
وتصنع من صبوة الأطلس المستهام
حمالةَ سيفي
وأقمارَ صيفي
وتُلبسني الشّدّ

عند تولّي الفوارس
تسرج عند الغداة جوادي
وتوقظ بأسي
فتنبجس الأرض
بالحبق النبوي
ويشرق بالوهج المستفيض
محيّا السماء

فديً لك
يا من تغنّي
فتحرق أثواب ذلّي
وتغرق في لجة المستحيلْ
مراكبَ يأسي
أنا الآن
أدخل مستبشراً
غمرات المنون
وأهتف
يا من نفخت بعزمي اليقين:
لك المجد

أيتها السنبله
لكِ المجد
لك المجد
إني شكوت إلى الله
آلام قلبي
فأكرمني بضيائك
أوقدت منه قناديل دربي
فأشرقت الأرض بالنور
يا ثورتي المقبله
وقامت لتخلع عنها
ثياب مذلّتها المرحله

لمن هذه الأرض؟
لله يورثها من يشاء
له الكبرياء
له الجبروت
له الخلق
والأمر
والملكوت

المغرب

صهيون» التي تنسبها بعضُ الأوساط المعادية لليهودية إلى اليهود. وفي عام ١٩٩١ صدرت ترجمةٌ عربية ثانية للقصّة نفسها، وقد خلتْ هذه الترجمةُ من أية إشارة إلى القتل الطقوسي أو إلى قضيّة صهيونية كافكا.(٢٣) ومن الجدير بالذكر أنّ هاتين الترجمتين قد تمّتا عن لغة وسيطة واحدة هي الإنكليزية، ويؤسفنا القول إنّهما حافلتان بشتّى أصناف الأخطاء الترجمية، الدلالية والأسلوبية والنصّيّة، وإنهما تفتقران إلى القدر المقبول من التناظر مع النصّ الأصليّ.(٢٤)

مترتبات وآفاق

لم يقتصر تعريب أدب كافكا القصصي على ترجمة القصص التي تطرقنا إليها آنفاً، بل شمل قصصاً كثيرة أخرى منها قصّة «الصياد كراخوز» التي عُربتْ ثلاثَ مرّات، وقصّة «في معبدنا» التي تُرجمت مرّتين . وعموماً يمكن القول إنّ القسم الأعظم من أدب كافكا القصصي قد نُقل إلى العربية إمّا عن الألمانية، وهو القسم الأصغر، أو عن لغات وسيطة، وهو القسم الأكبر. وتكمن المشكلة حالياً في أمرين: أولهما أنّ غالبية تلك القصص المترجمة إلى العربية لم تُجمَع بعد في كتاب واحد يمكن أن يكون عنوانه: «الأعمال القصصية الكاملة» أو «قصص مختارة» لفرانز كافكا؛ فَجَمْعُ تلك القصص في كتاب واحد ييسّر حصولَ القرّاء العرب عليها ويسهّل استقبالها. أمّا الأمر الثاني فهو أنّ القسم الأعظم مما نقل إلى العربية من قصص كافكا لم يُنقَل عن الألمانية، أي عن لغة المصدر الأصلية لتلك القصص، بل نُقِل عن لغات وسيطة، الأمر الذي عرّضها لعملية تشويه مضاعف، وزاد من درجة عدم تناظرها النصيّ والدلالي والجمالي مع الأصل. وفي الوقت نفسه لا بدّ من الإقرار بأنّ تلك الترجمات، على علاّتها، قد سدّتْ ثغرةً كبيرة في المكتبة العربية، ولبّت الحاجَة الثقافية العربية إلى استقبال أدب كافكا القصصي، وعوّضت تقصيراً كبيراً قائماً في حركة الترجمة الأدبية من الألمانية إلى العربية. وعلى أيّة حال فإنّ هذا النوع من الترجمات التي تتمّ عن لغاتٍ وسيطة قد أدّى دوره، ولم يعد له أيُّ مسّوغ بعد أن توفر في العالم العربي هذا العددُ الكبيرُ نسبياً من المتخصصين في الأدب الألماني المؤهلين لتعريب قصص كافكا وأعماله الأدبية الأخرى عن لغتها الأصلية. لقد اكتملت اليوم كلّ الشروط اللازمة لصدور ترجمة عربية رصينة وموثوقة لقصص كافكا (ورواياته وكتاباته السيريّة) في طبعة تليق بمكانة هذا الكاتب في أدب القصّة العالمي الحديث. فهل سننتظر طويلاً قبل أن تصدر تلك الترجمة؟

كلية الآداب – جامعة البعث
(سوريا)

(٢٤) لقد بيّنتُ ذلك بصورة تفصيلية في مقالتي: «ترجمة أدبية أم تشويه»؟ التي نُشرتْ في جريدة **الأسبوع** الأدبي، ٢٧ نيسان ١٩٩٥.